

## حديث الذكريات

د. أشواق مطر، إستشارية أمراض أطفال  
مستشفى عدن الصغرى (البريقة)

في حديث تلفوني مع اخي وزميل رحلة عمر اخي فاروق مرشد قال لي رجاءً لماذا لا تكتبي عن الاوقات الجميلة، عن ايام عدن الجميلة، عن اللحظات التي كنا نقضيها في الطريق الى العمل في ذلك الباص المتواضع الذي كان يأخذنا جميعاً كل صباح الى العمل، كل من يسكن نفس المنطقة، وبيضنا بكل تخصصاتنا، بكل مراحل عمرنا، ومع اختلاف جنسياتنا، لماذا لا تكتبي حتى عن ذلك المشوار في الطريق الى العمل.

كان ذلك الباص يأتي الي بعد ان يكون قد مر على فاروق مرشد وناظرة التمريض وسكرتيرة المستشفى ثم يواصل مشوار سيره لاخذ البقية وجميع الاطباء الاخصائيين. كان الطريق متعة نبدأه بالسلام والابتسامة ونكمله بالضحك، ولا نقول كنا نتمنى ان يطول الطريق بنا للاستمتاع بتلك اللحظات، ولكن ربما كانت البداية الاجمل في العمل، نبدأ يومنا بحب ونفوس مقبلة على العطاء.

في نهاية مكالمتي مع اخي فاروق مرشد قلت له : إن شاء الله يوماً سأكتب، ولكن ليس هذه الايام. فالبال غيررائق لاكتب هكذا ذكريات لانها في هذا الزمن وهذا التوقيت تصير موجهة. ولكنني اليوم اخذت القلم لاكتب بعد ان رأيت، صديقنا العزيز صديقنا المشترك الذي كثيراً ما احتضنا جميعاً وغالباً ما تردد صدى ضحكاتنا بداخله وكأنه يضحك معنا ويشاركنا ضحكنا، ولا نقول وقتها لم يكن هناك هموم ولكنها كانت مشاكل مجرد مشاكل وغالباً ما نجد لها حلول، وان كان الضحك في بعض المرات يكون وسيلة للتخفيف عن بعض الاحباطات. ولم تكن هموم مشاكلنا هموم بحجم الظلام الذي احاط بنا في الايام التي تلت. نظرت اليه وتيقنت انه لم يعرفني وحتى وان حاولت ان اضحك ليعرفني فلن يتردد صدى ضحكتي بداخله فلا باب ولا زجاج نوافذ فيه ليردد الصدى وكسى الصداً جدرانها، نكره المكان قبل ان ينكرني.

كانت لحظة كما قال الشاعر:

عمر في دقيقة مستعاد

ودهور مطلة في ثواني

فكأن الماضي تأخر في النفس

او استرجعت صداه الاماني

شريط من الذكريات مر امام عيني حتى وكأني سمعت الحوار، كنا غالباً ما نجلس في الصف الخلفي، فاروق وسكرتيرة المستشفى وانا وأمل، وفي احد الايام كانت ناظرة التمريض تجلس في الخلف، وهي التي كانت تفضل دائماً الجلوس في المقاعد الامامية، همست ناظرة التمريض لسكرتيرة المستشفى بحوار التقطت منه (فستان اصفر) فقلت: أي فستان اصفر؟ فقالت سكرتيرة المستشفى: هو حلم حلمته. انها كانت لابسه

فستان اصفر، فقلت : الثوب الاصفر في الحلم يعني المرض بعدها بدأنا بالمزاح والتعليق لانها كانت على خلاف مع مدير المستشفى، وحتى في خلافاتنا وقتها لم تكن غير اختلاف في وجهات النظر ولا يكون طابعها الحقد والعداء، نختلف ونصطليح والكل يحمل نفس الهدف مصلحة العمل. المهم يومها اخذنا من ذلك الحلم موضوعاً للمزاح ونحن على الطريق. فاروق يقول وسكرتيرة المستشفى وأنا نضيف وناظرة التمريض تخاف ان نكون نتكلم بجد وامل تضحك، كان لضحكة أمل طابع ووقع مميز ينقل العدوى للجميع، وضحكنا يتفاعل وضحك من في الامام وقال احد الاخصائيين: ماذا تقولون ؟ دعونا نضحك معكم. والتفت الاجانب الينا مبتسمين وبعضهم ضحك فلابتسام والضحك لغة الشعوب كما هو الحزن يومها ضحكنا كثيراً وفسرنا الحلم على انه نتيجة للمشاكل التي بينها وبين المدير، سوف تمرض وتسافر في رحلة علاج للخارج. وهكذا استرسلنا في الخيال وانعكس الموقف الى ضحك متواصل كنا نحول الاشياء المزعجة الى ابتسامة، وكنا في مشاكلنا نأخذ المشورة من بعضنا للوصول الى مخارج وحلول فننتقاسم الهموم ويمر اليوم بسلاسة. ومنتظر الغد بشوق للقاء مع بعض ولكل يوم حوار وحكاية جديدة نخلق منها قصة وضحكة.

أخذنا مشوار الحياة في صفاء وونام وكانت كما كانت مطالبنا بسيطة وحتى المشاكل كانت بسيطة. التفت من حولي اتساءل لماذا آلت الامور الى ما هي عليه ؟ لماذا تعقدت الحياة ؟ لماذا صار الهم مغلفاً حياتنا ؟ ولماذا صار الحزن هو العنوان الرئيسي لصفحة ايامنا؟ تاهت نظراتي في المكان واستحضرت ذاكرتي، اين الجميع؟ سكرتيرة المستشفى تحولت الى قوى فائضة وناظرة التمريض تقاعدت. ولكننا في هذا الزمن القبيح عرفنا انها تختلف عنا وانها تنتمي الى مذهب آخر، ولم يكن يوماً يعيننا ذلك، وان كنا الان في بعض الاحيان اذا التقينا نسلم على بعض باحترام ولكننا عرفنا الاختلاف، أنا من ضمن من كان يجلس في الخلف تقدمت في عملي ولا أعرف اذا ما كنت تقدمت ام تخلفت لان الذي يتمسك بالمبادئ والنظم في هذا الزمن كمن يتشبث بحبال واهية. أخي فاروق تقاعد في بداية الزمن الردئ ليحتفظ بذكريات الزمن الجميل، بقية من كان معنا بعضهم غلبته ظروفه وظروف الحياة ومشاكلها فلم يستطع ان يتوائم معها والبعض وخاصة الاجانب فارقونا عندما تغير واقعا لنعيش نحن في ذلك الواقع ويحتفظوا هم ايضاً بالذكريات الجميلة. وحدها أمل من ظلت ضحكاتها تملأ المكان لأنها غادرتنا الى حيت السكينة والعدالة والسلام.